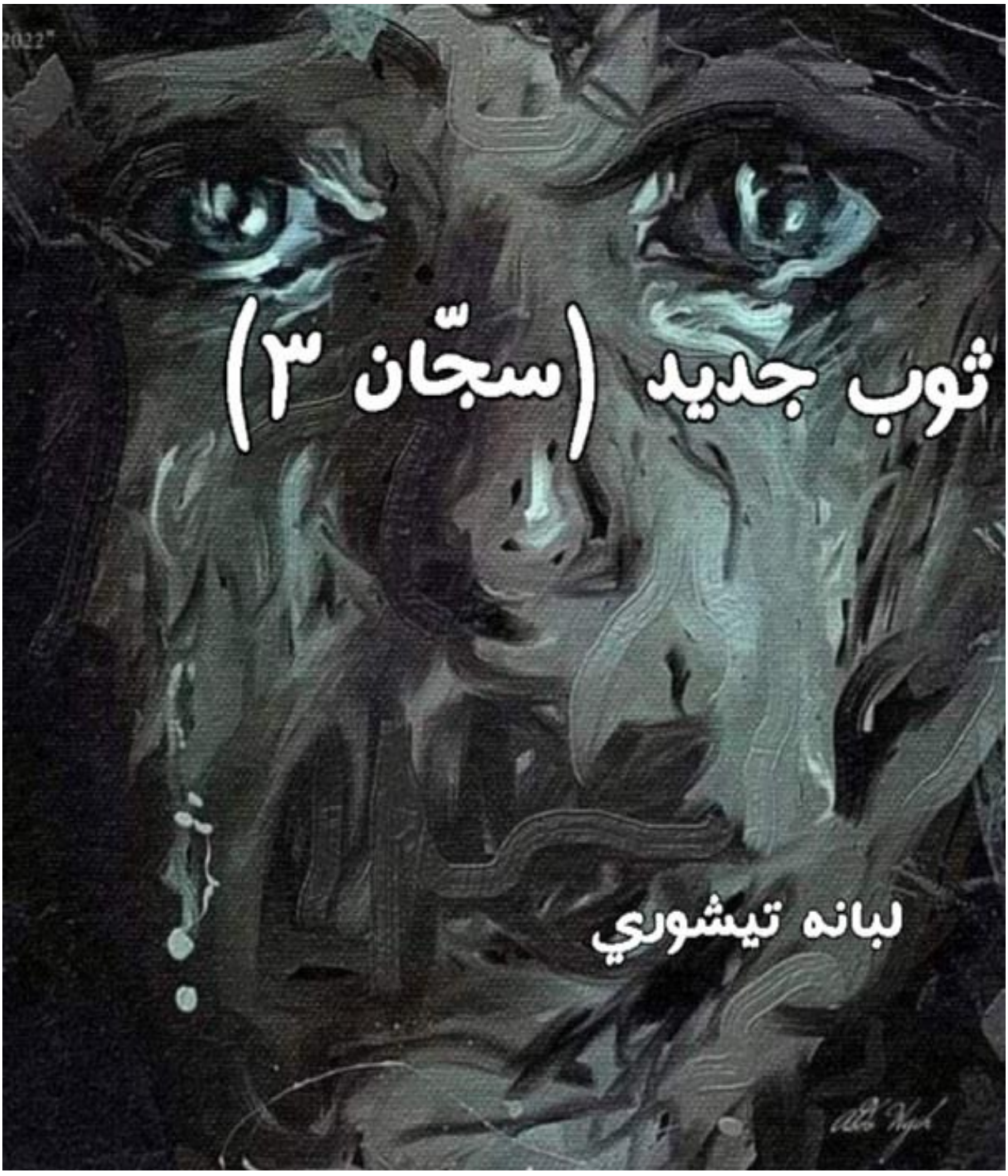
ثوب جديد (سجّان ٣)
لبانه تيشوري

ثوبٌ جديد (سجّان ٣)

لبانه تيشوري

خرج عز الدين من الشرطة عندما قرر أن يعود مدنياً يسير بين الناس دون صلة له بأي شخص يذكره بماضيه، ويعيش في حيه الشعبي الذي خلد بذاكرته القوية قصص عن مشاكساته مع أطفال الحي وهرولته للهرب من أمه زينب، وعن إسماعيل تؤمه الذي خذله للمرة الثانية في حياته ،وكان يعتقد أنها المرة الأخيرة وأن الحياة ستستمر لأن الحياة فعلاً تستمر دون أشخاص أو معهم، لكن تلك الفكرة الجنونية لازالت تطرق بابه مراراً وصوتاً هامساً يتحايل على أحلامه فيقول :: أين أبي ؟

بالطبع ! فهو لم يولد دون أب سمي بإسمه لآخر رمق في حياته حتى لو بدل التفاصيل لكّن الدم يبقى .

ولأنه لم يبحث ولا مرة عن والده قرر أن يواجه نفسه ليجد آخر فردٍ من عائلته حتى ولو كان ميتاً ،لا يعلم لما يبحث عنه لكن شيئاً ما يخبره أنه يجب أن يجده ،كان والده سمين الهيئة ممتلء الجسد وعيونه واسعة زرقاء اللون وقصير لحدٍ ما ولربما جسده الممتلء جعله يبدو بهذه الهيئة لديه رأساً دائرياً وانفاً طويل معكوف (لازال يسأل نفسه ماالذي جعل والدته تحب والده لهذه الدرجة ؟) ،ولقد كان رجلاً سكيراً يتبع الشهوة والهوى ولا يأبه بأبنائه، ولربما عزالدين تحايل على قدره مراراً كي يبقى على سوية واحدة وهو يتبعه نحو الحانات والمنازل المهجورة، فكان يعتقد أنه يشبهه وكان كلما هاجمته تلك الفكرة الملعونة يبكي ويصرخ ويضرب جسده حتى يهدأ ،كان طموحه واضح أراد أن يجعل والدته فخورة به ،أراد أن يرسم أبتسامة على ثغرها وأن يراها بقوتها ،لكن مشيئة الله جعلتها مجرد ذكرى.

خرج عزالدين نحو أخيه إسماعيل بعد أن هجره ما يقارب الأربع سنين بعد أن ساءت حالته ونقل لمشفى الأمراض العقلية ،ولكن مالم يستطع أن يزيله من عقله تلك الفكرة الجنونية، كان يريد أن يجمع شمل عائلته ويرحل بهم بعيداً ، أنه رجلٌ طموح حقاً ، وصل إلى باب غرفة إسماعيل بعد أن أخبره الطبيب المسؤول أن حالته ميؤس منها ، فقد أصبح بالفترات الأخيرة يضرب جسده حتى يصبح أرجواني اللون، ويصرخ في إحدى زواية الغرفة المهجورة إلا منه !!:: أيكفي ؟ هل أنتِ راضية ؟

كان عز الدين يدرك أن أخاه لازال يهلوس ب هيفاء، و يعتقد أنها لازالت تتبعه أينما يسير، وعندما دلف الغرفة نظر نحو جسد أخيه المغطى بذاك الوشاح الأبيض الملطخ بالدم ،ولاحظ كم أصبح هزيل حتى أنه أعتقد أن لا أحد موجود على السرير، وعندما شعر إسماعيل بإقترابه منه، هجم نحوه بكلتا يديه الرفيعتين وحاوط عنقه بقوة كادت تعتصره، وعندما لاحظ عينا أخاه ،همس :: أعدت من أجلي وأنا من خذلتلك؟(أجفل عز الدين وقد خابت ذاكرته عندما أعتقد أن عقل أخاه عاد ليعمل)، هل أحضرت هيفاء معك ؟ أين أمي ؟ألم تشتق لي إطلاقاً ؟

أعادته كلمات أخيه إلى الواقع وخانته دموعه، فأمسك بيدي أخيه التي لاتزال تحيط بعنقه

وربت عليها وأجلسه على السرير موضحاً :: أما هيفاء فحملتني كل المحبة لك ،وأمي تخبرك أن تسامحها لأنها أرادات راجية أن تسعد بشفائك.
- لكن هيفاء هنا يا أخي إنها تجلس هناك في تلك الزاوية تماماً وتلوح لك ،لما تلوح لك ؟أتعتقد أنها تحبك أكثر مني؟، أنها دائماً ما تأمرني بضرب نفسي، وتستشيط غضباً إذا رفضت فتبدأ بتكسير الزجاج وجرحي به .
- هل حقاً هي من تفعل؟
- نعم ، نعم !!... أنظر لقد قطعت وريدي وهاجمت عنقي مرة وفي مرات أخرى أسقطت السكين على فخذي ، أنها أنسانة حانقة.
كل ما كان يفكر به عز الدين الآن أن أخاه قد فقد عقله نهائياً وأنه يحاول قتل نفسه ليتخلص من تأنيب الضمير،وعندما هاجم إسماعيل النعاس تمسك بيد أخيه كطفل صغير،فباغتت عقل عز الدين ذكرى آخرى عندما ركضا هرباً من بائع الخبز حين أوقع إسماعيل بسطته الخشبية على أرضية الشارع ،وتذكر أن والدتهما أمسكت بإذن كل واحد منهما وأخذتهما راجيين المغفرة من البائع وجعلتهما يحملان أرغفة الخبز أسبوعاً كاملاً عنه حتى يرأف بهما ويجعلهما يغادران، وكلما عادا في المساء نحو دارهما يمسك إسماعيل بيد عز الدين بقوة ،فلا يفلتها حتى يمثلا أمام والدتهما التي تأمرهما فوراً بخلع ملابسهما وتنظيف أجسادهم وغسلها أيضاً ،لقد كانت أمهما مثالية فلا يغفل شيء عنها حتى لو جعلتهما مذلولان لكن يحصدان ثمرة ذلهما منفعة،وعندما أغلق عز الدين الباب مودعاً أخاه شعر بعيونٍ كثيرة تراقبه وأحس أنه في موقف محرج وشعر بإستحسان هرولته خارجاً من المشفى ، ولكن صوتاً ما أوقفه عند أول خطواته -
هل أنا أحلم ؟ هل حقاً هذا أنت ؟ لقد بحثت عنك كثيراً وأخبروني أنك إختفيت نهائياً بعد أن قدمت إستقالتك وقررت التوقف عن الكتابة ، أنك لخسارة.. سيدي ! أدعى أحمد عضو في هذه المشفى الكبيرة ومشرف مسؤول عن عدة حالات هنا .. تشرفت بمقابلتك آخيراً .
يال الصدف الجميلة ...ناهيك عن أن الذكريات كثيرة لكن طيوفها لا تغادر عز الدين مهما قرر ذلك ،أنه موقف مشابه قبل أربع سنين ولت كان يقف أخاه من لحمه ودمه قربه ويخبره أنه قد تشرف بلقائك آخيراً،قد يحاول المرء أن ينسى لكنها الذاكرة التي لا تخون ، تجمد عز الدين في مكانه كأنه حائط ثابت ،ونظر للهفة ذاك الشاب وهو يحادثه ،وأكمل الشاب دون أن يجفل جفنه :: لدي عدة حالات صعبة تقريباً كل حالة فقدت رشدها ك أخيك ، أنه سيكون سرنا الصغير ،هل نحتسي الشاي سوياً ؟ ما رأيك بيوم الأثنين أعتقد أنني متفرغ لساعة أو أثنتين ويمكنك أن تأخذ رقمي الخاص سأتشرف حقاً بمحادثتك.
كان لا يزال صامتاً ومنصتاً وأمال رأسه عدة مرات وكأنه يحاول الهرب .
فعاد ليسأله:: هل أنت موافق سيدي عز الدين؟

شعر أن هذا الفتى يشاكسه ويرغب بشدة بأن يقابله ،وما الضرر في ذلك ؟فهو من مكتبته الصغيرة إلى منزله وبالعكس.

- حسناً ، كما ترغب !

- هل يمكنني أن آخذ رقمك أو رقم شخصٍ يصلني بك ؟

- بالطبع ..سجل عندك .. أنه هاتف منزلي أكون داخله من الواحدة إلى الثالثة عصراً ،تشرفت بك يا د .أحمد ! بالإذن منك الآن.

وغادر المكان وسط تلك العيون الخائفة التي تنظر نحوه وعينا الدكتور أحمد تتفحصه بتمعن.

لم يكن عز الدين يأبه بحالته الرثة التي وصل إليها ولا بطلاقه من زوجته التي أحبها بعمق ،ولأن الله رزقهما بولدين يعتني بهما بحدود أقرتها فتون ،ولأنها بادرته الحب قررت أن تعطيه فرصة ليستردها هي وأبنائه إسماعيل وزينب، لقد جسد حب أخيه وأمه بولديه، لم يستطع أن يتجاهل تلك الغرسة الفتية التي زرعتها والدته منذ أن كان برحمها، الحب .. شيء مقدس بالنسبة له ، كما لو أنه نور وسط الظلام ، وكان يتمنى لو أنه يرزق بطفلة آخرى ليسميها نيسان ،تخليداً لذكرى صديقة قديمة ظلمتها الحياة وربت على كتفها القدر فحملت وزر أفعال زوجة أبيها التي كانت تدعوها بأمي .

كانت فتون تحضر كل ليلة إلى داره قبيل عودته من عمله فتنظف منزله الصغير وترتبه وتطبخ وتدع أبناءه يقضون نصف نهارهم عنده ،لم تكن أنانية كانت فقط تحبه بصدق ،ورغم أن فترة طلاقهما تقارب السبعة شهور لا تزال تهتم لشأنه أكثر وأكثر.

وكانت دائماً ما تجلس ناظرة إليه من بعيد وراجية لمحه فقط لا تحتاج سوى لنظرة منه حتى لو كانت خاطفة ، ورغم أنها تتحمل فراقه لا تزال تصرخ في وجه نفسها أمام المرأة لأنها السبب فيما وصلا إليه ،فهو رجل سوي لم يقصر في حقها بشيء ،لقد كان الأب والأخ والزوج لها ولأولاده كان نعم الأب ولازال كذلك ، لقد جرب بكل الوسائل الا يعيد حياته الماضية في حياته الزوجية، قرر أن يكون رب أسرة ناجح ، ففي جلبات نفسه لازال يردد أننا نحن من نقرر مصيرنا .

مرت الأيام سريعة لم يعد يشعر عز الدين بالأيام إطلاقاً، يراها روتينية مملة فقد أعتاد على تحاشد الأفكار، ورغبة كبيرة بالكتابة ، ورغم أنه أستطاع أن يقرأ في اليوم خمس أو سبع روايات طويلة، لازال يسعى جاهداً بأن يصبح شيء مهماً قبل وفاته.

انتهى لتوه من تنظيف مكتبته وجهز نفسه للعودة إلى المنزل ، فأسرع نحو الطاولة وطرق عليها عدة طرقات ليخرج رأس ولده إسماعيل من تحتها وهو يمسك بيد أخته زينب، لقد أتت بهم فتون مبكراً ،فأخرجهما من تحت الطاولة وجعل إسماعيل يتعلق بظهره وزينب حملها بين يديه ،وأغلق المكتبة وبدأ يخطو ببطء وهو يغني لكليهما بصوته الخافت ،حتى أن زينب غطت

بثبات عميق وإسماعيل يهز رأسه جيئة وذهاب وهو يضحك ،بالكاد بدأ يسمعه يغني معه ،وعندما وصل إلى داره لم يتثنى له أن يطرق الباب حتى فتح على مصراعيه، ودخل صائحاً !بصوتٍ أقرب للهمس :: فتوووون ؟

هرولت فتون وقد كانت هذه هي المرة الأولى التي تبقى بها داخل منزله ، وأخذت زينب من بين يديه وهمست :: هناك رجل وأمرأته في الداخل ينتظرانك منذ خمس دقائق ، أخبرني أنه . يدعى د.أحمد وقد تعرفتْ عليه من أسبوع تقريباً

تذكرى عز الدين أخاه إسماعيل ،فحمل إسماعيل الصغير وأعطاها إياه أيضاً وأخبرها أن تصنع الشاي وتدخلها ،وعندما طرق الباب مستأذناً ودخل ، وقف كلٌّ من الشاب وزوجته كما . أخبرته فتون وهمس الشاب:: ألم أخبرك أنه هو بشحمه ولحمه

وسار عدة خطوات نحوه وضم يده بكلتا يديه وشد عليها بقوة قائلاً :: لقد شعرت أن مكالمة الهاتف لن تفي بالغرض ،أحسست أنه عليّ أن أحضر شخصياً لمقابلتك ومحادثتك، أنك قدوتي ومثلي الأعلى، لولا أن زوجتك أخبرتني أنك قد هجرت الكتابة منذ أربع سنين ولت ،وأنا أعتقدت أنك تكتب لصالح مجلة آخرى ، لقد بحثت كثيراً عنك ،بحثت في الإصدارات الأولى من كل مجلة تظهر ، أسف أعذرني لم أنتبه علينا أن نجلس لنكمل حديثنا، أعذرني لتطفلي !!.. المستمر ولكنني حقاً كنت أرغب بشدة بلقائك

كان لايزال أحمد معلقاً كلتا يداه بكف عز الدين وجذبه نحوه وأجلسه على الكرسي المجاور له ،وأردف دون أن يسمح لأحد بالكلام :: زوجتي سماح ،أنها تحب كتاباتك مثلي ،لقد تمنت أن !تقابلك وتطرح عليك موضوعاً أتمنى أن ينال إعجابك ؟

وأخيراً أستطاع عز الدين إفلات يده من بين يدي أحمد- بعد أن أدخلت فتون الشاي وقدمتها- وأستطاع التكلم بعد أن توقف أحمد عن الثرثرة: لقد تشرفت بلقائكما ، تفضلا وأشربا الشاي ، أعرفكم طليقتي فتون (شهق الزوجان وحدجته فتون بنظرة لائمة) وهذا ولدي إسماعيل ، والأن يا د.أحمد ... لقد علمت ما تريدني أن أفعله وأعلم أيضاً السر الصغير حول لقائنا الآن، (همس أحمد مبتسماً ::أخبرتك أنه ذكي جداً) ولكنني أسف لما سأخبرك به ، لقد توقفت منذ أربع سنوات عن الكتابة ولا أريد أن أعود إليها الآن. كان هذا الرد صدمة كبيرة ل د.أحمد فرمقه بإطراب ممزوج بالتساؤل :: إنها فرصة مثالية ، لن أعرضها سوى عليك وأنت من .ستكون منتجها

. أجزم أنك مخطيء ، هناك كتاب مبدعون أكثر مني أتمنى أن تجد من يرضي فضولك -

لكنه وجد (صرحت زوجة الدكتور) -

وأنا أخبركم برفضي -

لكنني لم أتي إلى هنا لترفض عرضي ،أنني أعطيك مهلة وفكر بها ،أعلم ما تخفيه عن -

الجميع ، وأعلم ما يعنيه وجود أسماعيل في المصح عندي ،يسعدني تعاونك ، ويسعدني أن تعود أناملك للكتابة ولكن بأسمي المستعار.
تخضب وجه عز الدين بالحمرة وأكتسحت جسده برودة وبدأ كأس الشاي في يديه يرتجف (إنه يعرف ،إنه يدرك ما يقول)
وأردف د.أحمد :: يوم الاثنين القادم سأتي إلى بيتك في مثل موعدنا اليوم ،وستكون أول مهمة لك هنا من منزلك ، نشكركما على أستضافتنا، عذراً لتطفلي لكن زوجتك تحبك كثيراً عليك أن تعيدها إلى دارك ، فنادراً ما تجد زوجة محبة مثلها ،نستأذنكما بالانصراف شكراً لإستقبالنا.
وغادرا منزله دون حتى أن يودعهما، وهو جالس مكانه ينظر نحو الفراغ كالمجنون وفي عقله كلمة واحدة تتردد(إنه يعلم ،من أخبره)
لم تعد الأيام روتينية كما كانت عند عز الدين بعد ذاك اليوم بالتحديد، أصبح يهرب حتى من بائع الخبز و يتسأل بغضب :: من أخبره ؟كيف يعلم بسري .
له الحق كغيره أن يحتفظ بالأسرار فهو بشر في النهاية، ولأن سره هذا كان مع أخيه لم يستطع الكشف عنه حتى لأقرب شخص إلى قلبه،وأصبح يتخلف عن مواعيد حضوره إلى دار فتون لأخذ الاولاد وحتى أنه تخلف عن فتح مكتبته الصغيرة ،كان كالتائه يبحث في ذاكرته عن هذا الشاب د.أحمد زين وزوجته سماح ،لم يستطع أن يصل إلى خيط قد يجر البكرة كاملة نحوه ،ولأن الموعد قد أقترب أستسلم وجر نفسه ليعيد لرتابة أيامه أولويتها قبل أن يبدأ من جديد رحلة الكتابة ، فحمل نفسه عبئاً كبيراً حتى بعد أن فقد أخاه صوابه لازال يحتفظ بسره ،
وعندما وصل لمكتبته قبل الثالثة بربع ساعة تقريباً هرولت حنين نحوه تحمل الكتاب الذي أخذته منذ خمسة أيام ووقفت قربه موبخة:: لقد انتظرتك أنا ودلال لعدة ساعات قرب المكتبة ،لم يلحظ حضورك أحد ولا حتى تسأل عن كتبك التي نأخذها لتعيدها ،أشعر أنك مهمل أو تريد أن تبدأ بهذه المسيرة المشرفة. (وضحكت بخفة)
نظر نحوها وأخبرها بأن تذهب وتأتي بالكتب التي تريد دلال أن تعيدها إليه ، فأطاعت أمره وهرولت نحو بيت دلال وهي تصرخ بصوت أنثوي صاخب :: دللاااااللل قد جاء السيد عز الدين .
دلف مكتبته ووضع الكتاب في مكانه دون أن يتفحصه كعادته ، ونظر نحو الطريق الضيق لعل فكرة ما تواتيه ،ويهرب مما هو مقدم عليه ، وعندما بدأ عقله يفكر بوالده مرة آخرى ،شعر بالضيق لأن الوقت يداهمه وأفكاره لا تساعده هذه المرة ، وإذ بدلال تتقدم نحو باب المكتبة وتتهامس مع حنين ضاحكة، دلال فتاة أشبه بالقمر وجهها مدور وممتلىء وعيناها طويلة كعيون المها ومكحلة بسواد فاحم، وثغرها ممتلء أيضاً وجسدها ممشوق قصيرة لحدٍ ما لكن مفاتنها واضحة ،أنثى مثالية بخلاف حنين التي تبدو أكثر طولاً منها بقليل ،وعيناها حادة

كعيني ذئب جائع وأنفها طويل ولكنه يلائم وجهها وثغرها صغير ،لا يدري عز الدين لما تحبان القراءة لهذه الدرجة ،ولا يعلم لما يستعيران الكتب فقط ولا يشتريانها، ولكنه يدرك أن هاتان الفتاتان أكثر من يهتم بالقراءة وبنفسيهما أيضاً ، ويدرك أن نصف فتيان الحي يحاولون جاهدين التقدم لإحداهما ولكنهن ترفضن ،وكل رغبتهن أن يصبحن ناجحات كعز الدين ، تلك حججهم الواهية التي يعتقد عزالدين أنها بلا منطق ،ولا تحتاج لتبرير سوى أنهن يفضلن أن يبقين عازبات فقط،

أخرجه من شروده طرقات دلال على الطاولة ، فنظر نحوها وقد بدأت تتمايل كنبتة تهزها الريح : السلام عليكم سيدي !.

وعليكم السلام، شرفتما ،أخبراني كم كتاب أخذتما وكم تردن أن تعيدان؟ -

أخبرته حنين :: أعدت كتابي منذ لحظات ولازلت أحتفظ بكتابين عندي سأعيدهما عندما أنتهي منهما .

حسناً ، وانتِ دلال ؟ -

ودفعت الكتب نحو الطاولة

أردت أن أبدل هذا الكتاب بآخر ،لم يعجبني ولم أستطع أن أقرأه، مللت منه وشعرت بأن بيننا عداء ، وهذا الكتاب أنهيته البارحة وكتبت بعض التفاصيل عنه أريدك أن تطلع عليها ،وأما هذا فقد كان مشوقاً لدرجة أنهيته في ليلة واحدة ،والآن أريد أن تقترح عليّ بعض الكتب لأنني أدركت أن ما تقترحه أفضل دائماً مما آخذه دون أن أستشيرك.

حسناً ، وأنت حنين أتريدين كتاب آخر؟ -

ظننتك قرأت ملاحظتي.؟-

عفواً ، ولكنني لم أفتح الكتاب بعد . -

لكننا أعتدنا أن تتفحص الكتب من بعدنا كي لا نتلفها كما تخبرنا.-

أنني متعب هذه الأيام يا صغيرتي وأتمنى أن تسامحاني لتغافلي .-

نظرت كلاهما نحوه ، وهمستا سوياً (وكم تعتقد عمرك، تبدو شاباً أكثر من نصف فتيان الحي) فأمسكت فتون بشعر كل واحدة منهن وصرخت:: وهل تستلطفانه لانكن معجبات به ، انكن لا تتعلمن إطلاقاً ، أنه زوجي إيتها الحثالة.

نظر نحوها عز الدين وضحك وكأن هموم الكون أزيحت عن كاهله في ثانية ، يبدو أن فتون لا تريد أن تشاركه مع أحد كعادتها القديمة ، فأخبرها وهي لا تزال تمسك بشعر كل فتاة وتشده مطلقة كلمات تنبيهية:: كفى يا حبيبتي، لا يزلن أطفال.

نظرت نحوه بدهشة وصرحت: هل أنا أحلم ؟

هيا الآن يا صغيرتي أرحلا غداً أجهز لكل واحدة منكن كتاب يفيدها بعيداً عن ترهات الحب -

، وأنت يا حبيبتي تعالي وأجلسي قربي ، ولكن أين الأطفال؟ ونظر نحو فتون التي تخضب وجهها بالحمرة، وإذ بإسماعيل يخرج وهو يمسك يد زينب من خلف رداء أمه الطويل ويصرخ ..:: بابا

... لتقلده زينب : ب ب

لاتزال صغيرة على النطق لكنها محاولة أكثر من جيدة ، فأسرع يضمهما وهو ينظر نحو دلال وحنين وهن تغادرن المكتبة ورؤسهن نحو الأرض تنظر،لم يرد عز الدين أن يعيد فتون بعد حتى تقلع عن عادتها السيئة في التملك ،ويريدها أيضاً ولكن! شيء ما داخله يجعله خائفاً من عودتها بقدر خوفه من فقدانها للأبد أيضاً ، وكونه رجل يحب بصدق أستطاع أن يدرك أنها تحبه بطريقة عفوية خالية من التصنع ،وتريده لها وحدها فلا يستطاب لها عيش دون أن تلمحه أمامها أو أن تهاجم مكتبته في ساعات عمله القليلة عشرات المرات ، ولكن بعد أن قرر طلاقها لأنها كدرت عيشه وجعلته يعاني معها الكثير ، شعر أنها تعقلت وأصبحت أكثر ثقة به وأدركت أنها مهمة بالنسبة له أكثر من كل نساء الحي وبالتحديد سُكينة التي كانت تحاول جاهدة تهديم علاقتهما بفتنها المتكررة.

جلست قربه ووجها لا يزال مزهر بالحمرة ،وهمست بصوتها الخافت: أتحبني حقاً ؟

كلا ! (نظرت إليه ودموعها ملأت مقلتاها) -

إذاً لما ناديتني حبيبتي؟(تساءلت وهي تمسح دموعها بثوبها ، فنظر لها وقد شعر أنه يكلم - الطفلة التي أحب منذ أن كان مراهقاً ، فأمسك كفها بلطف) وقال : لم تتغيري بعد ! لكنك لاتزالين كوني الذي أعشق ووطني الذي أهاجر إليه ،ولأنك أرضي التي زرعت فأنبتت، أستحال أن أجعلك لغيري.

(كانت دموعها لاتزال تتساقط وأحس بنبضات قلبها تتسارع فأنتزعت يدها من يده وضمته) - أنك عشقي وأنت تعلم هذا ...

شعر عز الدين أن الوسيلة الوحيدة ليهدأ من سيل أفكاره أن يعيد الأمور إلى مسارها السليم ، ويبدأ من حيث توقف ، فهو لن يخسر شيء مجرد كلمات آخرى ، وفي النهاية العودة ليست بتلك البساطة التي يعتقدها ذاك الشاب ،لأن أخاه كان له دور كبير في حصوله على تلك الشهرة، والآن أخاه في المصح وهو في بيت والدته يعيش ،حاول الاستسلام للراحة بأن نصوصه لن تعجب ذاك الشاب ولن تجعله متشبثاً به ، وسيستطيع الهرب أو التهرب منه ، وبقي هكذا حتى أتى يوم الاثنين ، كان كعادته يجلس في المكتبة وقد أتاه بائع الخبز طالباً عونه في حمل بعض أرغفة الخبز إلى بيوت الحي لتسليمها، كان لايزال يرى في بائع الخبز وخطواته شيء من طيف والدته الراحلة، وكان يشعر أنه إذا ساعده سيجعل أمه سعيدة ويضحك ثغرها كما تمنى ، وعندما وصل إلى دار دلال ،وبالكاد طرق الباب ففتحته على

مصراعيه ،وخرجت بثوبها الفضفاض وشعرها المنسدل حقاً هي جميلة ، مهما حاولت إنكار ذلك ستخونك نظراتك إليها، لكنه أبى أن ينظر وغض طرفه عنها ، وقدم لها أرغفة الخبز وحاول الهرب ، لكنها أمسكت بيده وشدت عليها وكأنها تريد منه شيء ، أزال عز الدين يده بإطراب من يدها وصرخ بها : إياك ...
وغادر دون أن ينظر لدهشتها ، ونظرات الناس حوله تأكله ،لم يحاول التفريط بفتون ولن يحاول مهما بدى الأمر سهلاً ، وعندما عاد للمكتبة لاحظ وجود رجلٍ طويل القامة أشيب الشعر ومكتنز الجسد يقف أمام بابه وينظر نحو اللافتة المعلقة ، (مكتبة الأسطورة) ، وقف خلفه تماماً وقال :: يحيى صديقي القديم ؟
وضمه بقوة ، كان عز الدين لايزال يلتقي بيحيى رغم أنه تركه في منتصف الطريق ،فلا يغيب عنه شهر أو أثنين حتى يظهر من جديد ، ويخبره بتفاصيل حياته دون أن يتململ أحد منهما، لقد وجد في يحيى صديقاً تمنى دائماً أمتلاكه، وبعد حادثة نيسان بسنتين تزوج يحيى ليرزق بفتاة أسماها نيسان.
جلسا داخل المكتبة وقد كانت السعادة واضحة على وجه عز الدين ، وبدأ يحيى بأسئلته المعتادة : كيف حالك ؟ فتون والأولاد؟ هل تزور إسماعيل ؟ ألا تريد العودة إلى عملك القديم ؟ أظنني أشتقت لك وأريدك أن تتهجم على سكوني فتقلب منه صخب؟
أنه حقاً مشتاق ، لكنه لا يريد أن يعود وهو مجبر الآن ، أخبره عن كل ما حدث معه بالأونة الأخيرة و عن ذاك الشاب وزوجته ، وأيضاً عن فتون وأنه قرر أن يعيدها إلى بيته ، وطلب منه العون فيما هو مقدم عليه ، ولأن يحيى كان قريب منه جداً قرر عز الدين أن يأخذ بنصيحته ويعمل بها . ، فكان رد يحيى موجز وقصير : عد للكتابة إنها مكانك المناسب .
كان يعلم أن يحيى سيخبره بهذا ،وأكمل : لقد بحثت عن والدك كثيراً لكن لا أثر له إطلاقاً ، أتعتقد أنه قد غير أسمه ؟
- لكنه لا يستطيع !
- ومن أخبرك ؟ أخبرني عنصر أمن أنه كان يتردد نحو شيخٍ مشبوه فيه ، وعندما أحضرناه وسألنا عنه أخبرنا أنه قد توفى أثر حادث سيارة ، أنني غير مقتنع بهذا ! أشعر أن في الأمر لعبة ما ؟
- لما تعتقد هذا ؟
- كنا نبحث منذ فترة عن شبكة مخدرات في ذات الذقاق وقد أتتنا إخبارية أن رجل بذات صفاة والدك هو البائع والمروج ، والذي جعلني أتساءل هل والدك حي أم ميت أن ذاك الشيخ أخبرنا قبيل الإخبارية تلك بإسبوع عن وفاته ورغم أننا بحثنا عن جثته فلم نجدها ،أتتنا جائحة المخدرات ورجل بصفاته يروج لها، ألا تعتقد أن في الأمر خطة محكمة.

. لربما تشابه صفاة لا أكثر-
لا أعتقد هذا ! سأخبرك بكل التفاصيل حالما أصل لحل ، واعدك أن وجدت شيء عن والدك -
سأخبرك فوراً ، والآن بالإذن منك لقد سعدت حقاً بلقائك ، لا تحرمني من رؤيتك ، وآه ..
أرسل لي أسم الشاب لعلي أستطيع أن أصل لتفاصيل حوله، خطتنا كانت محكمة فكيف
!!.. أستطاع الكشف عنها ؟ أنه لأمر معقد
... حسناً ! سأخبرك بكل شيء ، رافقتك السلامة يا أخي -
كان الوقت لايزال مبكراً على إغلاق المكتبة ،ولم تأتي فتون كعادتها لتحضر الأطفال، شعر للمرة الأولى بعد فراقها أنها أصبحت مسؤولة وقد كبرت حقاً ، فجلس يدغدغ قلمه بكفه جيئة وذهاب وهو يتمتم بعدة كلمات خرجت منمقة، وشعر أنه لا ضير في كتابتها وعندما حمل القلم .وأخذ الورقة، لاحظ وجود شخص يقف قرب الباب
تفضل !(أخبره)-
كان ذاك الرجل أحدب الظهر قصير القامة نحيف الجسد وإحدى عيناه مغمضة، وقف قرب طاولته وناوله ورقة ، أخذها عز الدين بسرعة وفتحها، كان موجود عليها عدة أسماء كتب وكأنه يريدها كلها ، حمل الورقة وبدأ يجمع الكتب على الطاولة وعندما إستدار ليحادث ذاك الرجل ، أختفى وكأنه لم يكن ، شعر عز الدين بالضيق وحمل الكتب ليعيدها دون حتى أن يلاحظ الورقة وما كتب عليها ، وألقى بها في صندوق الطاولة ، وأغلق المكتبة وعاد نحو . منزله وهو يفكر بما كان سيكتب على الورقة التي كانت بيديه
دخل منزله وقد شعر برائحة عطرة تفوح منه وكذلك أشتم رائحةً لذيذة ، فهرول نحو المطبخ وقد لاحظ وجود بعض أكوام الغسيل ملقاة على أرضية الحمام ، وكذلك سمع صوت إسماعيل يضحك وزينب تحاول جاهدة تقليده ،فأمسك بصحن وملعقة وبدأ يسكب الطعام ، وعندما أنتهى من تجهيز الطاولة ، خرج نحو فتون والأولاد ، وحينما لاحظوا حضوره أسرع إسماعيل !! معانقاً إياه وفتون حملت زينب وهمست : لم نشعر بحضورك
.الطعام جاهز هيّا نتناوله-
في الثانية إلا ربع كان يساعدها في توضيب غرفة الأطفال بعد أن أستغرق إسماعيل وزينب في ثبات عميق ،ولم يلحظ كلٌّ منهما أن الوقت يسير بسرعة ، وفي حدود الثانية خرجت طرقات متحايلة على الباب ، هرول نحو الباب وفتحه ليتفاجأ ب أحمد وزوجته من جديد ، لقد كان يوماً مكتنزاً بالنسبة لعز الدين فلم يلحظ أنه قد نسي بالفعل أمر هذا الثنائي وطلبهما، وعندما دلفا الغرفة نظر نحو فتون برأفة ، وكأنها فهمت مقصده ، فدخل خلفهما وقد أغلق الباب بإحكام ، فوقف الإثنان ينظران له وقد علت ثغريهما أبتسامة مزيفة ، لم يعد الأمر يستحق كان يصرخ داخل عز الدين بهذه الجملة دون أن يعلم لما يصرخ بها ، وبدأت قصصه

تعود للحياة بعد أن أتم إتفاقه بشروط زوجة الدكتور ، لم يستطع عز الدين الافلاة ورغم مناورته ومحاولته كان تشبث هذا الثنائي به يخيفه ، إتفاق قاضي أن عدة حالات ستتسرب للجريدة التي تعمل بها السيدة سماح ولكن بإسم مزيف للدكتور أحمد وبهذه الحالة سيبقى عز الدين مختفي وبعيداً عن الأنظار، أستسلم عز الدين لهذا الأمر وشعر أن واجبه حماية أخيه، .وتفهم أمر إخفائه عن المنصة كي لا يكون كبش الفداء ، ويبقى مجرد هامس لا صائح
أدعى د. أمين أعمل في مشفى للأمراض العقلية ،تخرج من تحت يدي أربع أو خمس حالات لتعش حياتها بتناغم وحالتان أنتهت بالإنتحار وثلاث لا تزال قيد البحث وواحدة سأقصها عليك . الآن، لكن عليك أن تتعاطف مع بعضها لأنها عاشت أسواء أيام حياتها
يتشابه بعض الأشخاص بالتفكير فقليل منهم يستطيع التخلص من نزوات ماضيه فيعش براحته ..... ولكن صدى صوته المطرب يناديه عدة مرات فقط لانه قرر الاستسلام، هنا سنبدأ
:: الحالة الأولى منصور فتى في السابعة والعشرين ،عن لسانه أثناء جلسة تحسين وضعه
أيها الطبيب الأمر أكثر جدية حاولت مراراً تجاوزه لكن ...دائماً ما أفتعل المشاكل
لا يهمني الآن أي شيء أريد فقط التخلص مني ،لست مجبراً على إنقاذي فقط ضمني قليلاً إلى صدرك أريد البكاء والصراخ فلا تقاطعني ، لعلك تحتسبني مهووس بالصراخ فكل أيامي أقضيها وأنا أصيح ،ولكنني أختنق هنا في يساري ،هناك حرب ناشبة وأريد أن أخمدها بقتل نفسي ،لعلك شاهدت أناس منبوذين كثر لكن ليس بقدري ، لقد تهجم علي مراراً وكان لا يتركني دون كسر واضح في جسدي فمرة يدي ومرة ساقي وآخرى أصابع يدي العشرة ،لا تسألني هل أعاني ؟ أنا أموت ببطء ، كنت أريد أن أتباها بنفسي قليلاً لكن أقل كلمة تخرج من فمه لتأنبني يا لقيط ، تلك الكلمة لا شيء مقابل همساته ،أيها الحقير المنبوذ يا حثالة الشارع ،فليلعنك الله حتى مماتك، أنه والدي يا سيدي ... والدي الذي رباني وكنت بسببه على هذه الأرض أعاني، ماذنبي أن كانت أمي فقيرة ، وما ذنبها أنها ماتت بعد إنجابي ب شهر ، أنا من غضب عليه والده لأنه لقيط كم يدعي لكنني لست أبن شارع ،ولست من المزابل محمول ، ربتني زوجته بالضرب والنهر فلا أخفيك سراً وجب علي كل يوم عقاب بسببها، ومرة حبست في سقيفة منزلنا المظلمة أسبوع كامل لأنني رفضت تناول طعام حضرته بيدها ، منذ أن كان عمري سبع سنوات وأنا أعمل في دكان العم مسعود ،كان لطيفاً دائماً ما يتحسن علي بطعام هو فضلاته سيرميها لكلاب الشارع كما أخبرني والدي عنه، لكن حتى لو كان عظماً كنت أكله دون أن أحتج فهو لذيذ لأنه من يد العمة زوجة العم مسعود ،كان حنانها يغمري ويعوضني عن أمي التي فقدت،وكذلك العم مسعود كان كأب صالح لي ،فعلمني الحساب والقراءة وكذلك جعلني أحفظ القرآن ،كان دائماً يخبرني أنني أنسان ذكي ،لا يجب أن أضيع عمري هباء، لكن والدي كان له رأي آخر ،فكل حصيلتي من المال يأخذه ويصرفه على زوجته لإرضائها، حكم

على طفولتي بالذبح على منصة الأضاحي ،لكن دون عيد ،وكلما عدت إلى داري والدي أختنق، قيل لي أن الطفولة شيء جميل ،علمت فيها أن أعتمد على نفسي ورغم صغر سني وحداثة عهدي كنت ممن تطلبهم للموت فيلبونك لأنك تحسنت عليه بقطعة خبز ، لست ابن شارع ولكن ربيت في الشوارع ، ومرات عديدة أنام في دكان العم مسعود دون أن يسمع لي صوت ،وذات مرة كنت أبيع الخضار بأمان في دكانه بعد أن غبت أسبوع كامل عن منزل والدي وجدته ظهر من بعيد وهو يلوح بعصا طويلة ويتلفظ ببعض اللعنات ويهرول مسرعاً نحوي ،أسرعت فأختبأت خلف منضدة الدكان وقد دهش العم مسعود لتصرفي، أحسست بالعرق بدأ يتكور على جبيني وبالرعشة تجتاح أضلعي، لقد زهقت روحي هناك ،ومن خلف الطاولة أمسكني ورفعني وأطاح بي أرضاً ككيس خضار ،أستطدمت بالأرض وأحسست أن أنفي قد كسر ويدي التي جاءت تحتي قد تهشمت من رعبي وقفت كالاعرج وأختبأت خلف العم مسعود الذي جرب بشتى الوسائل منع والدي من لمسي ،سالت الدماء لتطوق وجهي وأنتفخت عيني فجأة ،وبتلك اللكمة أطحت أرضاً من جديد وبدأ يضربني بعصاه دون شفقة حتى أحسست أن أضلعي قد تهشمت ورأسي قد تصدع وقدمي ماعدت أستطيع الشعور بها ،كان حانقاً فأفرغ غضبه فيّ ، وعندما أستطاع ثلاث رجال إزاحته عني كنت قد فقدت وعيي ،أخبروني أن العم مسعود حملني إلى المشفى وقدم بلاغ ضد والدي بعد أن جعلهم يعاينون حالتي، كنت قد أصبت بكسر في الأنف ورض بكف اليد وتشعر بعظم الساق والباقي رضوض طفيفة، لم يشعر أحد أن ما كسر هو قلبي ليس أنفي، خرجت من المشفى فأشرف على حضانتي العم مسعود وبعدها ب ثلاثة أيام هجمت زوجة والدي نحوي وطالبتني بالتنازل عن الشكوة ففي النهاية هو والدي ،لقد تنازلت ..بالرغم من كل آلامي تنازلت ،لأنه والدي ،لم أدرك أنني أخرجت ثائراً من السجن ليحطمني ببطء ،كل ما كنت أفكر فيه أنني سأتخلص منه حتى لو نمت في الشوارع ، كان عمري حينها خمسة عشر عاماً ،وقد تكفل العم مسعود بدراستي ،كنت أدرس بجد لأرفع رأسه عالياً وكل تفكيري منصب نحو والدي الذي يكرهني، كان الإمتحان الأخير وكنت متعب جداً مما صنعت وسعيد بإنجازي الكبيرة ،وفي لحظة مفاجأة خرجت من مدرستي نحو الشارع ليظهر أمامي وهو يلعق شفتاه ويضحك بخبث، ركضت محاولاً الفرار لكن لازالت قدماي لا تستطيع حملي وسقطت على الأرض وبدأت أزحف كالمجنون فأمسك بعنقي وجلس فوقي وبدأ يضرب وجهي مطلقاً سبات ولعنات، أحسست بالدم يتدفق في عروقي وحاولت بكل قوتي أن أرميه من فوقي وعندما خرجت من تحته كانت سكينه قد مزقت كتفي وبدأت أشعر بالدماء الدافئة تفيض ، وهو جالس ينظر لي ويهمس :: لقد نلت منك أياها الحقير ،ليتني قتلتك في مهدك.

ونهض بعد كلماته تلك وبدأ السير مبتعداً عني وقد تكورت حول نفسي ودمي يسيل ورأسي

يدور ، لم أعتقد أنني سأنجو ولكن كانت مرة آخرى أستطيع النهوض وهذه المرة بتمزيق في الكتف، أن يكرهك والدك تلك مصيبة وأن يعدك عدوه اللدود تلك المصيبة الأعظم ،سرت نحو بيت العم مسعود الذي كان ينتظرني بقلق ،وعندما قابلني بشكلي المتعب والعرق المتساقط ويدي الملطخة بالدماء ،أسرع نحوي وقد ضمني منادياً زوجته فحملاني نحو السرير وبدأ بتعقيم جرحي وخرجت زوجته نحو الطبيب تناديه، لازلت أتذكر نظرته عندما شاهدني أمام دكان العم مسعود وأنا أبيع الخضار بعد تلك الحادثة ،أحسست بالنار تحرق عينيه والغضب تجلى على وجهه ،هذه هي المرة الأولى التي أواجه فيها ضعفي، لم أهرب ولم أختفي كنت أمثل أمامه وأنا أقوم بعملي كرجل قوي لن يهزمه خوفه بعد اليوم ، اقترب مني ونظر نحوي وبصق في وجهي وصرخ : فليلعنك الله أينما حلت خطاك. للآن لا أعلم سبباً واضحاً لكرهه لي ،ولا سبباً لتهجمه علي .

خرجت من تلك الأذمة رجلاً قوي والسبب بقوتي أصبح ضعفي ، لقد إنتهى كل شيء بليلة واحدة ،لقد فقدت كل الأشخاص الذين أحبهم ،كنت قد أصبحت في عمر السابعة والعشرين وقد تخرجت من كلية الهندسة ، وقررت أن انشيء حياتي الخاصة ،ولأنّ العم مسعود كان بمثابة أب لي ذهبت نحوه لأطلب يد أبنته للزواج ، فكان رده قاسياً يا سيدي ،لقد أخبرني أنني لقيط لكن بطريقة مهذبة ،وإنه لن يزوج أبنته لطفل تبناه من الشارع ، لقد كسر آخر جزء بقي صامداً في قلبي ،لم تكن ضربات أبي وتهجمه على جسدي ما كسر روحي ،لكن ما هدمها لتتفتت أن الرجل الذي بناني لأصمد في مهب الريح هو من هدمني، ورغم الحب الذي نشاء بيني وبين أبنته بعلمه قرر تزوجيها لأخي من أبي، أجل !! أجل !! هل لعنات الأب قاسية لهذه الدرجة ؟هل أنا حي الآن؟ هل أعيش لسبب ؟دعني أضمك وابكي أرجوك ... دعني أصرخ لأن من يملك أب وأم يعيش ملك حتى لو كان فقير، ومن عاش دونهما بعيداً عن عطف الناس ومزلتهم أمير دون قصر ،ومن عاش بتعاطف الناس مذلول طوال حياته، دعني أحضنك أرجوك ،ربما الغد أفضل بدوني .

توفي في الثالثة من مساء يوم الأحد الواقع في الخامس من حزيران في يوم زفاف أبنة العم مسعود .

وجد غارقاً في حوض الإستحمام بعد أن قطع وريده .

فلنربي أبناءنا على الحب ،لأن الظلم لا يغتفر.

لم يكن يدرك عز الدين كم التعاطف الذي خرج بواسطة خاطرته البسيطة وكذلك كم البؤس الذي أحاط بالناس ،وشعر أنه قد عاد من جديد لكن بطريقة آخرى ....

الحالة الثانية فتاة تدعى جمان تربت وسط الرعب والخذلان وعاشت أيامها تتمنى أن تفهم ما يجول في خاطرها، عن لسانها::

إسمي جُمان أعيش وسط حاشية لعينة الكل يهتم بنفسه.

منذ طفولتي وانا وحيدة والدتي كانت خادمة في ذاك القصر أحبها ابن سيد القصر فتزوج منها عنوة عن أنف أهله، وعندما حملتني في رحمها اتهمته والدته بالسرقة وادخلته السجن، وعندما انجبتني والدتي كان والدي لايزال داخل السجن بتهمة محاولة الاعتداء على والدته بالقتل ،الأمر القاسي خلقت لاتقبل اسم ابنة الخادمة لا ابنة السيد وعشت على هذا المبدأ.

جمان اسمتني أمي نسبة لاخت ابي التي توفت اثر حادث أليم، ولأني ابنة الخادمة يجب أن لا تنزع ثوبها أمام الناس، كنت هكذا لا أتذكر يوما أنني جلست معهم على ذات المائدة ،ولا حتى نمت في غرفتي التي خصصوها لي، لقد كنت ككلب شريد في أرجاء القصر ادور وحيدة، حتى أمي لا أتذكر أنها بحثت عني أو اهتمت لوجودي، لمجرد أن أطفال القصر يصرخون يتهجمون عليّ بالتهم هكذا عشت.

كانت خادمة القصر العجوز تهتم لأمري هي وزوجها، فكانت تنظفني منذ الصغر وترتب شعري وثيابي وكذلك تطعمني، وفي أيامي العادية تبحث عني في اوقات نومي فتسحبني من تحت الطاولة التي كنت اجلس تحتها وانا اقرأ كتب والدي فتأخذني إلى سرير جهزته لي في المطبخ ،قرب الموقد كي أبقى دافئة، كنت أخاف النوم في غرفتي، فعندما انام فيها كان طيف عمتي جمان يزورني فيطبطب على كتفي ويهمس في أذني: يا حسرتاه عليك أيتها هالطفلة. كنت أعيش وانا أحمل الكتب والمناشف في الحمام والمياه في أرجاء القصر وسلة الغسيل نظيفاً كان أو متسخ وعندما أهرب يكون كتابي في يدي ووجهتي اسطبل الخيول ،كان لدينا خيول كثيرة أفضلها واحبها إلى قلبي مهر اسود خلق تقريبا في ذات اليوم الذي ولدت فيه ،كان يتودد نحوي دائما ويجعلني امتطيه دون غيري فكان لطيف معي شرساً مع غيري كان يقدرني نعم يقدرني ما كنت أصدق أن هناك كائن في الوجود يقدرني أو يبحث عني سوى خادمة القصر العجوز وزوجها وهذا الخيل الأصيل.

كانت والدتي جميلة حقاً، تملك شعراً طويل وقوامها نحيف طويل ،وجسدها ممشوق ،لقد انتقاها والدي من أجمل الزهور تماماً كسيدات القصر الاخريات ،وعندما خرج والدي من السجن بعد أن تلطفت به والدته واسقطت تهمها عنه، كنت أنتظره برغبة وأريد أن اضمه بشوق، لكن المنبوذ يبقى منبوذ، تقدم نحو الجميع فقبلهم وحتى أطفال القصر ابنة عمي الشقراء الحسناء واخوها المشاكس، وكذلك ابن عمتي الثمين وابن عمي الآخر الغليظ وغيرهم، إلا أنا ! كنت أقف بعيداً عنهم أنظر لهم لعلهم يلحظونني، وعندما استشعر وجودي بعد أن فات الأوان، كنت قد خرجت نحو الاسطبل كعادتي وجلست قرب شهاب أتلو له شوقي لوالدي ولوالدتي، وابكي

بحرقة طفلة محرومة، كنت في عمر العاشرة عندما خرج والدي من السجن ،لم يتغير شيء بقي كل شيء كما كان، خرجت الخادمة العجوز فغمرتني باكية وعندما لاحظت أن والدي يقف ناظراً نحوي خلسة ،خلصت نفسي من بين يديها وامتطيت شهاب وهربت ،لم استطع ان احتمل نظرات الشفقة التي هاجمني بها لم استطع كتمان ضعفي وانا أبنة الخادمة التي بقيت بثوبها خادمة لا يُسأل عنها ولا يكترث لوجودها أحد بقي شهاب يهرول نحو المرج حتى توقف كنت أمسك عنقه بقسوة وابكي بحرقة وقلبي الصغير يخفق انا ابنة العاشرة كان شيء ما يمنعني من البوح بوجعي لأنني لا افهم ماهو وجعي، هبط شهاب وانزلني قرب بركة ماء وجعلني أنظر نحو وجهي المعكوس فصرخت لأنني أشبه أمي بملامحها، جمان هذا هو إسمي أصبحت اضرب صفحة الماء كي تمحي صورتي وابكي واصرخ دون أن اهمس بكلمة كما اعتدت ان اكبت وجعي وصراخهم علي،لم ينتهي الأمر هنا اطلاقا عندما عدت وجدت زوج الخادمة ينتظرني فحملني نحو زوجته وقد جهزت لي حمام ساخناً وطعاماً لاكل لأن اهل القصر قد أكلوا دون أن يسألوا عني وفاجأتني أن والدي سأل عني عدة مرات فلم يجدني كان قلبي يبكي فحبست دمعة متثاقلة في جفني وخرجت نحو حمام الخادمات لاستحم وابدل ثيابي وعندما انتهيت تناولت بعض الطعام وخرجت نحو سريري قرب الموقد وقد وضعت عليه الخادمة العجوز عدة كتب لأقرأها لا اخفيك سراً تلك الكتب كانت مؤنسي الوحيد في وحدتي في اليوم التالي نهضت فوجدت هدية صغيرة موضوعة فوق كتاب كنت اقرأه مساءً لقد كانت ملاقط شعر على شكل وردة اقحوان كانوا رائعين حقاً وضعتهم في شعري الاشعث ورتبت سريري وخرجت نحو الحمام لاغسل وجهي واستعد لتجهيز الطعام مع العجوز وزوجها فاحمل الصحون واكواب العصير والاباريق وأجلس بعد أن انتهي قربها فتقدم لي طعامي وعندما بدأت بالأكل لاحظت زوج الخادمة يتقدم نحوي وقد ضحك وجهه وقال :أنهم يريدون أن تأكلي معهم. أتذكر جيداً أنني لم أخرج إليهم وأتذكر أيضاً أن جدتي دخلت إلى المطبخ لأول مرة في تاريخها فامسكتني بشعري ويدي وبدأت تضربني بقسوة وأمي وابي ينظران لي دون أن يباليا وأبناء عمومتي يضحكون وعندما أنتهت من ضربي وخرجت أقتربت مني والدتي وهمست بعد أن أمسكت يدي بحنق : أخبرتك ألا تعصي أمر العجوز الشمطاء. وخرجت بعد أن فغرت رأسي بضربة عنيفة جعلتني ارتطم بالطاولة ،لم أستطع أن أشعر بالدم وهو يسيل من رأسي ولا حتى من فمي وانفي وجلست أكمل طعامي دون أن أبالي بأي شي فوجدت الخادمة ودموعها تتلو شفقتها علي قد أحضرت المعقم والشاش وبدأت تنظف جروحي وتضمدها وهو واقف قرب الباب ينظر لي بشفقة وعندما أنتهت خرجت وقد حملت بيدي كتاب آخر وجلست تحت طاولة الصالة وبدأت اقرأ ،أعلم أن الخادمة قد أخرجتني مراراً من تحت تلك الطاولة بعد أن بحثت عني طويلاً وأعلم أن وجبتي طعامي كفيلتان أن يشعراني بالرضا

حتى لو لم اتناولهما وأعلم أن صمتي معيب وأن خوفي قضى علي وانني وحيدة كما خلقت من رحم أمي وأعلم أن شفقة والدي وهجر أمي لي لن تجعل مني شخص مرغوب وأعلم أن خير صديق لي كان شهاب ،
استفقت على صوته وهو يخبر الخادمة أنه يريد أن تعطيني ثوب ما وتأخذني إلى غرفتي بعد أن تجعلني أستحم وأن تزين شعري بزهر الاقحوان الذي وضعه في الهدية وأن تجعلني أحضر طعام العشاء معهم وتعلمني آداب الطعام ،وعندما خرجا من الصالة زحفت نحو غرفته فوضعت بها هديته الا من ملقط صغير احتفظت به لرغبة طفلة بشيء من والدها وخرجت نحو الاسطبل وامتطيت شهاب وهربت تلك الليلة من القصر هربت قرابة أربع وعشرين ساعة وانا اهرول في البرية وقد بدأ الجوع يتسلل إلى معدتي وأريد بعض الماء كي اشبع ظمأي وأما عن شهاب فقد كان يأكل ويشرب بحرية وعندما حلّ المساء شعرت بالبرد وقد بدأ ينخر جسدي ورغم هذا لم أعد تلك الليلة إلى القصر اطلاقاً ،وعندما أتى الصباح كان جسدي منهك من كل شيء فحملني شهاب وأعادني إلى القصر دون رغبة مني ،حينها اتذكر تماماً كل لحظة ؛
وصلت فحملتني الخادمة وضمتني إلى صدرها وبدأت تتشممني وأنا منهكة متعبة وفجأة ظهر والدي فركض نحوي وضمني بقوة إلى صدره حينها فقدت الوعي فلم أستطع أن أدرك ما حصل بعد ذلك ،أدخلني والدي غرفتي بعد أن حملتني الخادمة فغيرت لي ثوبي وغسلت وجهي ويداي وقدماي بماء ساخن وأجلستني على السرير وعندما بدأت ارتجف وضعت ثلاث شراشف ولحاف فوق جسدي الصغير وبدأت تجهز حساء العدس وأما عن زوجها فقد ربط شهاب في الاسطبل وركض نحوي ليضع كمادات ماء بارد على جبيني ويتلمسه لعلها تنخفض الحرارة لا أتذكر أن أحداً زارني حينها ولا حتى أمي دخلت لتطمأن علي ووالدي بعد أن أدخلني الغرفة بقي خارجها وكما اعتدت أن أبقى وحدي كنت كذلك ما جعلني ألتزم الصمت حقاً بعد تلك الحادثة، بعدة أيام باعوا شهاب ،لقد ابعدوا صديقي عني وجعلوني وحيدة تماماً فكنت ألتزم بأوامرهم فبعد أن أجهز المائدة مع الخادمة كنت أجلس في نهاية الطاولة الطويلة بعيداً عن الجميع فأتناول طعامي سريعاً وأهرب نحو الاسطبل وأبحث عن شهاب لعلهم يعيدونه ،التزمت بهذا الامر ثلاث سنين وكانت قضيتي أنني قبيحة لا أتكلم بوفرة ولا ألعب مع الأطفال ولا أبدو جميلة كجمال ابنة عمي إلينا، وعندما أصبحت في الرابعة عشرة دخلت مع والدتي كالعادة إلى حمام النساء وقد كان دور والدتي في قص شعر جدتي وصبغه فخرجن جميع السيدات من الحمام وبقيت انا وامي وجدتي فيه وعندما بدأت أمي بفك رباط شعر جدتي بدأت جدتي تصرخ وتتهجم على والدتي بطريقة شرسة أحست أمي بالإهانة فبدأت تشد شعر جدتي وتقصه بطريقة بشعة وعندما شعرت جدتي أن شعرها تقريباً أصبح تحتها وقفت وبدأت تتشاجر مع والدتي وبدأ النزاع والصراخ وفجأة هجمت والدتي على جدتي فاسقطتها أرضا

وأرتطم رأسها بالأرض ففغر وبدأت الدماء تسيل ولون أرضية الحمام تتغير دخل الجميع إلى الحمام فوجدن جدتي قد فارقت الحياة وأمي جالسة قربها وانا لاأزال أحمل الملابس وانظر نحوهما أمسكني والدي وسألني بخوف: من فعل هذا؟ لم اتمالك يدي ورفعت أصبعتي وأشرت نحو والدتي .

إسمي جمان أعتقد انك لم تعش جزء من وجعي ولن تعشه وأتمنى أن لا تعيشه مهما بدى لك وجع بسيط .

لازلت احتفظ بملقط الشعر الذي أهداني إياه والدي للآن وأتمنى لو قطعت أصبعتي قبل أن أشير إلى والدتي في تلك الحادثة .

أصيبت أمي بالجنون وبدأت تتهجم عليّ أينما رأتني وكذلك توفيت خادمة القصر وزوجها ترك العمل ،وأنا بقيت بلا أهل ولا صديق ،فحملنا والدي وأخذنا إلى قصر لنا وعين أشخاص مسؤولين عن رعايتنا لكن بقي هذا البيت الكبير كالسجن يخنقني ويحبس أحلامي ،لم يستطع أحد أحتمال والدتي فيدعنا من اول ليلة يقضيها معنا ،وعندما يعود والدي من العمل يخرجنا فيجمعنا على ذات المائدة ولأنني معتادة على الوحدة كنت اتناول وجبتي بمفردي في غرفتي وأجلس بعد أن أغلق الباب علي لأقرأ، ستسألني من علمك القراءة ؟كنت أقف بعيداً عن صفوف خاصة يقدمها أساتذة محترفين كانت جدتي قد أحضرتهم ليعلموا اولاد القصر فبدأت استرق النظر واجمع المعلومات وكان زوج الخادمة يساعدني أيضاً ،ففي عمر السابعة أستطعت أن اقرأ اي كلمة تظهر أمامي وبلغتان أيضاً.

وعندما تبدأ حالة والدتي بالتأزم كانت تهجم علي بقشاطها الجلدي الغليظ فتضربني بقسوة وتصرخ بي : ليتني قتلتك معها سأقتلع أصبعك الذي أشرتي به نحوي ،وتمسكني وتبدأ بعض أصابعي ،وعندما أهرب منها تهاجم جوعي فتطهو لترسل الرائحة نحوي فاخرج نحوها لأكل فتبدأ بضربي وتأكل وهي تتأمل نزيفي مهما كان لقد أعتدت فكنت اضمد جراحي بنفسي ،وأعود لغرفتي وانا جائعة وأقرأ كي أنسى جوعي ،لمرة هجمت علي فأمسكتني بزراعي وربطتني بكرسي خشبي في الحمام على مقربة منها وأغلقت الحمام وابتلعت المفتاح وعلقت حبل طويل في سقف الحمام ووقفت على قدماي وعلقت رأسها بالحبل وبدأت تضحك بهستيرية مخيفة وقالت: لقد قتلتني إيتها هاللعنة فلتشهدي موتي حتى لا تنسيني ما حييتي وضربت الكرسي لاسقط انا وهو سوياً وهي بدأت بالتأرجح وتشهق بقسوة لقد شاهدتها وهي تموت شاهدتها وهي تبتلع لعابها لآخر مرة وقد بالت على نفسها وخارت قواها وتوقفت حركتها لقد شاهدتها وهي تقتل نفسها فقدت وعيي من هول ما رأيت ولم أشعر بنفسي الا وانا على السرير وقد تحلق طيف والدي حولي وعندما لاحظ أنني بخير هجر غرفتي كعادته، بعد وفاة والدتي بعامين توفي والدي أيضاً ،وترك لي ثروة لا تقدر بثمن ولكن لازلت أنام تحت الطاولة في

الصالة وأجمع الكتب حولي تخرجت من كلية الحقوق وانا أتعرض للتنمر بسبب شكلي الخرف وثيابي القديمة وإنما انا كنت أرتدي ثياب أمي لم أستطع ترك قصر والدي فرغم كبره لم أستطع أن أهجره ورغم كل الذكريات البشعة التي فيه كنت اجلس فيه وانظفه وحتى أنني أرتبه كما لو كان فيه الف شخص وشخص، ولكن رغم كل هذا لم أستطع التعايش مع خوفي فقررت أن أعرض نفسي على طبيب نفسي كما أخبرتني أبنة الخادمة العجوز بعد أن أوصلت لي رسالة كانت قد تركتها لي السيدة العجوز طالبة مني أن أعتني بنفسي واواجهها وأحقق حلمها بأن أصبح شخصاً ناجحاً ،لقد تغيرت حياتي تخرجت بدرجات عالية وأكملت ماجستير غيرت من ثيابي وقصصت شعري كففت عن تأنيب أصبعي وفككت اللفافة عنه وأخرجت ملقط الشعر من شعري ووضعته قرب ضريح والدي ،وبحثت عن شهاب فوجدته وقد كبر في العمر وأصبح لديه عائلة ،سافرت نحو دولة أجنبية وبدأت حياة جديدة بصفحة جديدة ،لم أعد إبنة الخادمة أصبحت اليوم أبنة سيد القصر وأكبر مدافع عن حقوق الأطفال أصبحت اليوم جمان أبنة الخامسة والعشرين عاماً أصغر طفلة حاصلة على رعاية خاصة من دولة كبيرة ومتحدثة بإسم حقوق الأطفال .

يال جمال قصصك يا عز الدين ،لقد تفوقت على نفسك الآن، كان د.أحمد يخبر عز الدين وقد علت شفتاه ابتسامة منتصر .
وبعد مرور ذاك الوقت الطويل ،شعر عز الدين آخيراً أنه فعلاً لا ضير بالعودة إلى الكتابة ،إلى مكانه الذي أحبه.
لينتقل من حالة إلى آخرى ،كأيامه التي فاتت ،من سجين إلى آخر ،ويكتب عنهم بحب ليبرهن للبشر أن السجون تحتوي مظاليم كما الحياة تماماً ،والآن وهو يقف أمام هذه الحالات التي حولت وتيرة حياته لسياق آخر،ويعش تفاصيل كل خاطرة ويشعر بها ،أحس بالفخر بنفسه،وإنه قد أنجز آخيراً البعض من آماله .

::الحالة الثالثة ربا ،فتاة في الرابعة والعشرين من عمرها، عن لسانها
أخبرني أنه يحبني، وانني عليّ أن أقع بحبه أيضاً ،مهما كلفني الثمن وأردف مناقش رأسي المصنوع من طين، أنني يجب أن أعطيه فرصة ،لكنني أخبرته أنني لا أعطي احداً أهمية، وأنني لست براضية عن شعور الحب ،وأنني عندما وقعت بحب أحدهم خذلني وتخلى عني في بداية الطريق.
فضحك ،وكأنني أخبرته بنكة ما ،
نهضتْ بعد أن شعرت أن الطريق من بدايته مغلق ،فأمسك بيدي وقال بصوت أشبه بالهمس ::

أجلسي أرجوكي ،فأنا لم أنهي كلامي .وضغط على يدي أكثر، خضعت لرغبته وكلي ثقة أن الحديث إنتها هناك عند تلك الضحكة .

جلست وقد أمسك معصمي دون أن يفلته، وقال وهو ينظر لعيني مباشرة : لقد أخبرتك أنني أحبك ،انا لا أجبرك على حبي ولا أريد منك أن تبادليني ذات الشعور أو أن تخبريني بماضيك، أريد أن أرى حاضرك وأن أكون موجوداً فيه، أن ألتفت فأجدك قربي وأن أهمس فتسمعين صوتي ،أن أضحك فتدركين أنني سعيد لأنك تخطيتي نزوتك وبقيتي قوية فلم تجعلك ضعيفة خاضعة ويائسة، أريد أن أراكي تحاولين معي أن تهتمي وتشعرين بالحب يتسرب إلى فؤادك فيطرق بابه بأدب ،أريدك أن تكوني شخصاً أخبره بخيباتي فيبعث الأمل داخلي فيقويني، شخصاً أذا صرخت يتفهمني، ولعلي وجدت كل هذا فيكي لذلك أخترتك، لتكوني كلّي وجزئي الغالي والمفضل لدي،انا لن أجبرك على التأقلم معي فوراً خذي وقتك وأنني أعدك بأنني لن أخذلك حتى لو خذلك كل من حولك !!

لكنه خذلني!!

لقد أفلت يدي في منتصف الطريق نحو حلمنا البسيط ،لقد تركني أسير وحيدة وأنا أهمس بإسمه في كل ثانية تمر من عمري.

أن يثق بك شخص معتاد على الخذلان وصفعات الحياة معجزة ،كمن يخبرك أن اللبن لونه أسود وأنت مدرك أنه أبيض لكنك تحبه رغماً عن كل شيء ،لقد عشت أجمل أيامي معه ،كان الربيع لصحرائي والشتاء لجفافي، كان جميل الطلة وملك التعابير، ولولا أن الحياة قررت مرة آخرى إهانتي فأخذته مني ،تماماً كلمح البصر، أيها الطبيب لقد تملك فؤادي فأصبح يهمس بإسمه مراراً ،أصبح الحاضر والماضي والمستقبل ،وكلما أردت أن أفلت يده تمسك أكثر وأكثر.

كنا نعمل على تجهيزات الزفاف لم يكن بعيد سوى ثلاث أيام فقط ،كل شيء أتذكره بوضوح ،الفستان والبدلة وكذلك كروت الزفاف السعيد، الأطعمة والأغاني والرقصات، والضحكات أيضاً ،لقد أصبح عالمي فلم يكن بوسعي ترك يده بعد الآن، وقد أصبح جزء كبيراً في حياتي ، لكن شيء ما حدث ،أنني أحاول أن أقنع نفسي بأنه القدر ،لست مجنونة لكنني أحببت ،أحببت بصدق أحببت بلهفة أحببت بأمان ،بعد ذاك اليوم لم تعد أيامي ذات قيمة ،لقد تخلت عني الضحكة وبترت الإبتسامة، تحت المطر المنهمر وفي ذات يوم زفافنا المشؤم حدث ما حدث ،لقد تخلى عني تماماً لقد خذلني شخص آخر وكسر الجزء الأكبر من قلبي ،نعتتني والدته بالبومة، وكذلك والده أطلق لعناته علي دون شفقة ،ولم يحدث أن راعيا مشاعري التي دمرت هناك ،في يوم الزفاف ،كنا نتجهز كلٌّ في صالة وعندما أنتهى قرر أن يأخذني شخصياً من الصالة ، لقد أتى بسيارته التي حفظت صوتها بإتقان وعندما سمعتها خرجت ركضاً نحوه وإذا

به يلاقيني بالأحضان، لقد أخبرني أنه سيكون أبي في ليلة الزفاف وأخي حتى المنصة وعقد القران وزوجي بعد هذا كله ،لقد أعاد لي ثقتي بنفسي وبمن كان حولي ،أمسكني بكف يدي وبدأ يديرني حول نفسي مراراً ويبكي ،وعندما شاهدت دموعه بكيت أيضاً لا أعلم أهي من الفرحة تلك الدموع أو من شي آخر ، وهمس بصوته المبحوح : تبدين .. تبدين كالملاك ... جميلة جداً ،لم أعتقد أنني أستنقيت أجمل الزهور وأفضلها ،أعتقد بأنني الرابح الآن. وضمني مرة آخرى إلى صدره ،الأمان هذا ما أحسست به حينها ،بعد الانتهاء من تجهيزات التصوير قرر أيضاً أن نكون مع بعضنا فلا يحتاج لمن يوصلنا إلى المكان المحدد ،خرجنا في سيارته المزينة إلى إحدى المروج ،ولأن الوقت كان ربيع فبدت أشجار الكرز والتفاح بزهورها كتاج يزين الأرض، وخرجت الازهار الملونة بعد شتاء كان أفضل شتاء بالنسبة لي لوجوده، فزينت الأرض وبدت كسجادة محاكة بإبداع فقط من أجلنا، من أجل أن تبقى ذكرى هذا اليوم راسخة للأبد في ذاكرتي فلا ترحل ،ولأننا قد وصلنا مبكراً كان قد أحضر بعض الطعام والمشروبات وبدأ يفترش الأرض ببساط ويضع عليها كل ما تشتهيه عيناك من طعام وأمسك بيدي وقال ضاحكاً : فلنبدأ نزهتنا كالمعتاد .

نعم ،لقد اعتدنا كلما ضاقت بنا السبل أن نكتنز جمال الطبيعة ليخلصنا من خيباتنا، لكنها خيبة كبرى ،ورغم محاولتي أن أتجاهل لأعود كما كنت لم أستطع، صدقني أنه أمر صعب علي،وبعد ساعات لم أستطع أن أحصيها لجمال ذاك الوقت ،خرج المصور من بعيد لنبدأ جلسة التصوير بعد أن جعلناه مرغماً أن يجلس معنا أيضاً بعض الوقت ،بنظر المصور أخبرنا أننا نبدو ثنائي مثالي لما نملكه من تفاهم وود ومحبة ،لقد عبر عن أعجابه بعلاقتنا الفريدة كقوله، لقد صدق أصبحت حلماً الآن، أنتهت جلسة التصوير وانتهت أخر ضمة بيننا، وهناك تماماً خذلت، كنا قد قررنا العودة إلى الحفلة آخيراً لنكمل ما بدأناه وعندما خطونا نحو السيارة أحسست بشيء من التعب ،لم أستطع تمالك نفسي فبدأت أخرج مافي أمعائي وتشنجت أضلعي وسقطت أرضاً ،حملني وأسرع نحو المستشفى كالمجنون ،هل الحب أعمى ؟ أجل أنه كذلك ...!! لم أكن بوعيي بعد ذلك إطلاقاً فهمست.:: أرجوك لا تسرع أنني بخير ! لكنها لم تكن جديرة بإيقافه لأن شاحنة ملعونة خرجت من العدم وأوقفتنا جميعاً ، لقد خارت قواي وبعد عشر دقائق من ذاك الحادث الرهيب أستفقت وانا ملقاة على الأرض وهو لا يزال داخل السيارة والشاحنة قد حطمت السيارة من جهته ،دار رأسي وفاضت الدموع الدافئة وأنا أشاهد سيل الدم يغطيه ،وصرخت :: لا تتركني أرجوك ،أستفق، أنت أملي ،أنت وطني .

وبدأت أجذبه محاولة بشتى الوسائل أخراجه من مكانه ،بوصول الشرطة والإسعاف سوياً ،لربما أنقذونا هناك لكنني مت في ذاك الحادث ،لم يتذكرني بعدها إطلاقاً لقد تأثرت ذاكرته فنسي وجودي،لا بأس !! أعتقد أنني خذلت للمرة الأخيرة،- لا أرجوك لا أريد منديلاً آخر

لدموعي فالزمن كفيل بمسحها-، تزوج بعد تلك الحادثة بسنة، وأنجب طفلاً صغيراً يشبهه لحد ما ، ولكنني لازلت هناك عالقة ،ينتابني الخوف والرعب كلما خطت قدمي سيارة ،وأشاهده في كل الأماكن التي أمشي وحيدة فيها ،واتذكره بتلك الصور التي أحضرها لي المصور معزياً نفسي لما فقدت ،أنا خذلت ...لكن القدر قرر أن يبقيني وحيدة ،أعيش على المسكنات كي أنام واستفيق محاولة منع نفسي من التفكير فيه لأن أحلامي كلها عنه،أنا بخير لحد ما ؟! ولكن قلبي قد تحطم.

اتحبين أن تواجهيه؟ -

لا أستطيع؟!! أعتقد أنني خضت تلك التجربة ،نعم لقد خضتها ألتقيت به صدفة كانت أجمل صدفة بالنسبة لي ،كان يرتدي قميصه المخطط وبنطاله الجنز الأزرق، فأبحرت في ذاكرتي عندما كان لقاؤنا الأول حينما اعترف لي بحبه ،كان يرتدي كنزة بيضاء وفوقها قميص مخطط وبنطال جنز أزرق ،كان مرتب لحد ما ،وشعره المهذب يجعلك تدرك أنك تقف أمام أجمل خلق الله وتنسى لما كان الرفض حليفه حينها ،لكن لم أكن جريئة لاخض حرباً اعرف أنني المهزومة فيها ، لم تكد تدرك عيناي عيناه حتى لمحت تلك الدمعة الساخنة سالت لتحرق جفوني، وطبعه الذي أعشق تقرب مني وناولني منديلاً وهمس كعادته :: هل انت بخير يا انسة؟

انسة ؟هل أنا أنسة بالنسبة إليه ؟ وهل كان يربطنا وثاق متين ليحوله القدر إلى سراب ؟ ولتكن صفعة الحياة لي متينة تقدم طفل يحبو منه ورفع يديه محاولاً الوصول لقدميه، لتقترب منه سيدة في السابعة والعشرين تقريباً وتمسك بكتفه مصرحة : ما الأمر عزيزي؟

أنني أيها الطبيب مكسورة فداخلي حينها تهشم نهائياً ،لأقف الآن أمامك بلا وجهة ولا طريق ولا غاية ، خرجت من المكان متوكئة على خيباتي ولكن شيء ما اوقفني حينما صرخ بإسم ذاك الطفل : ماجد توقف !!

لم أستطع تمالك نفسي حينها وثار بركاني الخامد صارخاً باكياً ناحباً .... ولن أستطيع أن أعبر عما حدث ، لقد سماه بالإسم الذي أخترته يوماً لأول طفل سننجبه سوياً ، خرجت من حياته كما دخلت لا يعلم عني شيء ولا حتى يدرك من أكون، ولكنني لطخت حياته ببقعة الحب والود والتفاهم، لربما يتذكر يوماً رابطاً يحمله إلي حتى بعد مماتي .

لكنك ستحاولين مرة آخرى ، من أجلي ؟-

ولما أيها الطبيب ؟لقد أكتفيت من الخذلان.. لا أستطيع خوض نزاع آخر مع الحياة وأنا أعلم بهزيمتي -.

فلنجرب سوياً .-

الجلسة السابعة ....(مواجهة)

دخل رجل طويل ذا شعر مصفف أشقر اللون وعيونه ملونة إلى غرفة الطبيب، بينما جاءت خلفه مباشرة فتاة طويلة قليلاً ذات قوام ممشوق وشعر قصير منسدل، وعيونها خالطها الخضار مع الصفار، وجلست في غرفة الإستقبال بعد أن سجلت معلوماتها عند الممرضة المسؤولة، بعد ربع ساعة تقريباً من الإنتظار هتفت الممرضة بإسمها : أنسة ربا ،الطبيب في إنتظارك.

خرجت ربا من شرودها وطرقت الباب مستأذنة بالدخول، وحينما سمعت صوت الطبيب دخلت دون أن تدرك من ينتظرها ، أغلقت الباب خلفها وألقت التحية على الطبيب وجلست ،وبدأ الطبيب يحاورها كعادته دون أن يشعرها بالقلق حتى سمعت صوتاً خلفها جعلها تتلعثم وتطرب بطريقة عاشق حرم ممن أحب، وعندما وقف الطبيب وقفت ،فسمعت الطبيب يقول : أنه ضيفي يا أنستي، لقمان ،الشاب الذي أخبرتك عنه مسبقاً واحببت أن أجمعكما في جلسة موحدة لما تمتلكان من صفاة قريبة وأعتقد أنكما تملكان قصة واحدة ولكن لشخص مجهول . شهقت ربا بإطراب وتخضب وجهها حمرة خفيفة ،ورفعت يدها تحيي لقمان بكلمة : اهلا ..ت تشرفت بمعرفتك...

لنعد للقمان ، شاب في الثلاثين من عمره هيئته توحي أنه أصغر من عمره بكثير ،لكنه حكيم بما يوحي لك أن الجلوس معه قد يغنيك عن دخول المكتبة لشهر تقريباً ،بالتأكيد ليس كاملاً لكنه يحاول أن ينصحك بطريقة بليغة، يعمل في بيع العقارات السكنية ويعيش في منزل العائلة مع والديه،عندما دخل إلى غرفة الطبيب ،تعرف عليه الطبيب من فوره ،لقد استوحى تفاصيله من قصة ربا ،لكن مالم يستطع فهمه لما حملته اقدامه إلى عيادته، وقبل أن يبحر في عالمه الخيالي ،أخبر الطبيب بإختصار بقصته : منذ قرابة عامين كنت اقود سيارتي وكان شخص ما معي ،خرجت شاحنة لربما رافعة وصدمت السيارة ،أتذكر أنني فقدت الوعي وأسعفت إلى المستشفى، ولكن لايزال صوت ذاك الشخص عالقاً في ذاكرتي رغم أنني فقدتها ،ودائماً ما يردد : لا تتركني أرجوك، استفق ... وبعضاً من كلمات باتت غير مفهومة حتى الآن، أيها الطبيب منذ تلك الحادثة وأنا أجهل هوية ذاك الشخص، ولكنه دائما ما يغزو أحلامي ويشعرني بتقصيري وانني شخص غير مسؤول ترك خلفه شيء قيم ،لربما تركت خلفي حياة كنت أتمنى أن أعيشها برغبة، فباتت أحلامي في الفترات الأخيرة غير واضحة ومشوشة ،جل ما اتذكره ذاك الاسوار العريض وتلك اللؤلؤة الفسفورية ذات اللون الفريد ،ولا أخفيك سراً خرجت مرة نحو صديقٍ قديم كنت قد هجرته منذ الحادث ،وعندما دخلت لمكان عمله وقعت عيني نحو صورة فتاة تلبس ذات السوار وكذلك برق لون تلك اللؤلؤة في عيني ،وكأنما أحد يمسك بكتف تلك الفتاة وعندما هممت بإمساك الصورة خرج صديقي وأخذها مني عنوة وربت على كتفي صائحاً : لما عدت إلى هنا ؟أعتقدت أن الحادث قد أنساك صديق الطفولة أيضاً ؟!

نسخت تلك العبارة في ذاكرتي ،إذا أنا قد نسيت شخصاً مهماً بالنسبة لي ، شخصاً أهم من صديق الطفولة ،لما قارنه به إذا لما يكن كذلك ؟
وعادت تلك الأحلام تزورني وبدأت ألحظ ملامح ذاك الشخص تتوضح ،لالحظ أن تلك الفتاة التي كانت في الصورة هي من تصرخ راجية في أحلامي، أعتقد أنني جننت ،حتى صادفتها في إحدى المتاجر الضخمة وعندما وقعت عيناي في عيناها شعرت بشيء غريب وبدأ قلبي ينتفض ورأسي يدور وهي بدأت تبكي ،نعم، لقد شاهدت دموعها، لم أستطع أن أقف دون أن أقدم لها منديلاً وعندما أقتربت منها وشممت رائحتها، باغتت عقلي ذكرى آخرى لضحكة ماكرة كنت أعشقها وصرخة راجية كانت نهايتها فراق ،وعندما نهضت بعد أن تقدمت مني أختي ،شعرت أنها كلما ابتعدت وتركت مسافة بيننا يختنق بي المكان ويزدحم، فلم أشعر بشيء كهذا من قبل لاقع على الأرض مستسلماً للدوار،
أتيت نحوك لأجل أمنية ،لعلك قادرٌ على أن تساعدني في تحقيقها، أريد أن أعيد ذاك العام بكل تفاصيله إلى عقلي ،أريد أن أعيشه من جديد ،مع ذات الشخص !! هل تستطيع مساعدتي ؟
الآن اتضح الأمر!! كلٌّ منهما يبحث عن الآخر لكن بطريقته،وكلٌّ منهما منع عن الآخر لكن مجبراً ،مهما افترق الأحبة يبقى الود قائماً،ومهما خانتنا ذاكرتنا لريح أحبابنا ذكرى لا تنسى.
بعد عدة جلسات علاجية أستطاع لقمان أن يعيد جزء لا بأس به من ذاكرته لمكانها،
وأستطاعت ربا أن تعيد لقمان إلى أحضانها ،بعد عامٍ تقريباً أتتني دعوة موثقة بخط العاشقين لحضور زفافهما، أنه لأمر رائع أن تشعر بأنك تحقق إنجازات مزهلة لأجل هذا العالم الفاني.
ملاحظة:: ستسألني من هو ماجد ؟ ومن تلك الفتاة ؟
في الحقيقة لقمان أراد أن يجعلها مفاجأة لربا ،ولأن أخته كانت مسافرة قررت أن تأتي يوم زفافهما واحضرت معها طفلها الذي سمته ماجد ،نسبة لحديث لقمان المتكرر عن ربا وعن أطفالهم وأسمائهم أيضاً ،فقررت أخته أن تطلق اسم ماجد على طفلها الثاني نسبة لهما،
ستسألني:: لما لم تخبره عن ربا إذن بعد الحادث؟، سأجيبك:: كذلك أخت لقمان لم تشاهد ربا إطلاقاً ،لكنه زرع في ذاكرتها وكيانها عشق لشخصية ربا قبيل معرفتها بها.
مضت ثلاثة شهور على رحلة عزالدين للعودة ،ومنذ تلك الحادثة لم يزره يحيى وكذلك فقد الأمل بوجود والده ،ولربما يومه المزدحم جعله يخاف من وجود إلتزامات آخرى ،وقد أعاد فتون إلى بيته وأصبحت أيامه شاقة محملة بالأحداث المتتالية،
وفي هدوء أيامه خرج ذات الرجل أحدب الظهر ونظر له من خلف زجاج مكتبته وطرق الباب
!! هاتفاً :: أريد كتاباً
وما إسمه ؟-
. هتف مجدداً: أريد كتاباً !! ،ولوح بورقة وضعها على الطاولة

لقد دهش عزالدين مما رآه لقد شاهد إسمه مخطوط بطريقة منمقة وقد كتب تحته تماماً أسماً لاطالما لقب به ... سجّان ....

يتبع.....